التفسير النبوي المباشر لألفاظ العقيدة

(The Direct Prophetic Interpretation of the Words of Faith)

*الدكتور كفايت الله همداني

**ياسر على

ABSTRACT

A word spoken or an act done or a confirmation given by the Holy Prophet PBUH is called Sunnah. Basically, Hadith are the words, actions and silent approval of the Prophet PBUH and considered one of the primary sources of Islamic law, next in importance only to the Holy Quran. It plays a vital role in interpretation of the Holy Quran as well as in law making. That's why it remained undisputed and unchallenged throughout the centuries. Hadith is known as the most effective, explicit, miraculous and beautiful method of expression.

The Holy Prophet PBUH was the role model and best teacher of the world. Therefore, he guided and illuminated his companions about their belief and faith in two different ways – either by, raising inquisition in them through questions or by simply explaining different concept of faith.

Keywords: *Sunnah, Interpretation, Belief, Undisputed, Inquisition.*

يعد الحديث النبوي الشريف من أفصح أساليب العرب وأكثرها اعجازاً ولاريب فهو كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأفصح العرب قاطبة وقد تميز كلامه صلى الله عليه وسلم بان لغته لغة مقصودة يراعى فيها جوانب الدلالة والقصد لدى المتلقي، فهي لغة علمية تجمع بين رقة العبادة ودقة التوجيه ومراعاة الجوانب النفسية والاجتماعية فهي لغة تخاطب فطرة الناس ولاريب انها تنطلق من قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (1)

أما الالفاظ النبوية المفسرة فهي تلك الالفاظ التي سأل عن معناها الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه او سُئل عنها فضلا عن الالفاظ التي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير أسلوب الاستفهام كأن يذكر اللفظ ثم يعقب بتفسير معناه.

* رئيس قسم اللغة العربية؛ بالجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

** محاضر بقسم اللغة العربية؛ الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

يمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:-

1. النمط الأول:- الأستعانة باسلوب الأستفهام.
2. النمط الثاني:- التفسير المباشر.

النمط الأول

الاستعانة بأسلوب الاستفهام

وجاء هذا الأسلوب على وفق ما يأتي:-

أ- سؤال يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتظر الإجابة عنه ثم يعقب عليه بتفسير المعنى الذي أراد أن يوصله إليهم من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة [2].

ب- أو أن يسأل أحد الصحابة سؤالا بعد أن يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا فيه نوع من الغموض ثم يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بتوضيح هذا الغموض من ذلك حديث جابر... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل مسكر حرام ان على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار"[3].

ت- سؤال يطرحه جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوضيح معنى من المعاني من دون أن يعرف الصحابة أن السائل هو جبريل عليه السلام من ذلك حديث ابي هريرة رضى الله تعالى عنه، قال:-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزاً للناس فاتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال:- أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث[4]. ثم يشير صلى الله عليه وسلم إلى أن السائل هو جبريل عليه السلام "أتاكم يعلمكم أمر دينكم"[5].

النمط الثاني

التفسير المباشر

وهذا النمط يختلف عن النوع السابق بكونه لا يعتمد على الاستفهام وانما ايراد اللفظ ثم تفسيره وهو على أنواع:-

أ- ذكر لفظ ما ثم الاتيان بتفسير من دون أن يكون هناك سؤال وجواب أو اعتراض من ذلك حديث أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" [6].

ب- الاتيان بالتفسير والشرح ثم ختم ذلك باللفظ الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصل معناه إلى صحابته من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[7].

ت- ايراد مفهوم تعارف عليه الناس على سبيل الانكار باستخدام أسلوب النفي ثم التعقيب عليه بـ (لكن) لايراد المعنى الذي ينبغي أن يتحقق في المسلم الذي يتصف بهذه الصفة أو غيرها، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتين ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي أو لا يسأل الناس إلحافاً[8].

الفاظ العقيدة المفسرة تفسيراً مباشراً

حمى الله

عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ الحلال بيّنٌ والحرام بَيّنٌ وبينهما مُشْتَبهاتٌ لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ من النَّاس فمن أتَّقى الشُّبُهَاتِ، أسْتَبْرأَ لدينه وعرضه ومن وقع في الشُّبُهَاتِ، وقع في الحرام كالراعي يَرْعَى حول الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَع فيه، ألا وإنَّ لُكِّل ملكٍ حِمَىً ألا وإنّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ[9].

إن هذا الجذر يدل على الحماية والدفاع عن شيء يمكن ان يتعرض للخطر فهي دلالة على محظور لذلك يشير الجوهري إلى هذا المعنى بقوله "وهذا شيء حِميً على فعلٍ أي محظور لا يقرب"[10].

المعنى السياقي

جاء هذا اللفظ مضافاً إلى اسم الله تعالى ليدل على معنى عظيم نتيجة لتلك الإضافة إلى الخالق العظيم والرب الكريم الذي له الصفات العليا المنزه عن كل عيبٍ، لذلك نجد أن العلماء تحدثوا عن هذا المعنى فهذا الإمام النووي يقول "ومعناه ان الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حميً يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفاً من الوقوع فيه، ولله حميً وهي محارمه أي المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنا والسرقة والقذف والغيبة والنميمة واكل المال وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، فمن احتاط لنفسه لم يقارب ولا يتعلق بشيء يقربه من المعاصي، فلا يدخل في شيء من الشبهات"[11]، فقد فسر الحمى بالمحارم أي المعاصي التي حرمها الله تعالى اعتماداً على تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا اللفظ ووجه التقارب هو التحذير من الوقوع فيها، والاقتراب منها، لذلك يقول القسطلاني مشيراً إلى هذا المعنى بقوله "هو من

باب التمثيل والتنبيه بالشاهد على الغائب، فشبه المكلف بالراعي والنفس البهيمة بالانعام والمشبهات بما حول الحمى والمحارم بالحمى وتناول المشبهات بالرتع حول الحمى ووجه الشبه حصول العقاب بعدم الاحتراز عن ذلك"[12]، وأشار الشريف الرضي إلى هذا المعنى بقوله "وهذا الكلام مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه ما حظره الله من محارمه بالحمى الذي يحميه ذو السلطان والمَلِكة من مواقع السحاب ومنابت الاعشاب فلا ترعى فيه الا إبله"[13]، بل يذهب الرضى إلى أبعد من ذلك مشيراً إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد به التحذير من الالمام بشيء من صغائر الذنوب لئلا يكون ذلك مُجرّئاً على الوقوع في كبائرها أو التهور في معاظمها[14].

وقد التزم العلماء بهذا التفسير من دون الخروج عليه، لأن هذا اللفظ إذا أُضيف إلى لفظ الجلالة فلابد أن يعطى معنى يليق بجلاله، العالي الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [15] لذلك تحدث العلماء عن المراد بالمحارم عندما قال صلى الله عليه وسلم إلا أن حمى الله محارمه فهذا العسقلاني يقول "والمراد بالمحارم فعل المنهي المحرم أو ترك المأمور الواجب"[16]، وذهب غيره إلى أن الحمى "هو أنواع المعاصي فمن دخله بارتكاب شيء منها استحق العقوبة عليه"[17].

نلحظ أن العلماء قد اتفقوا على أن المعنى المراد من حمى الله المجازي أي ما يغضب الله تعالى من فعل الإنسان لأمر نهى عنه.

الرَّانُ

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنّ العبد إذا أَخطأ خَطِيْئَةً نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ سوداءُ فاذا هو نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتاب سُقِلَ قلبُهُ وإنْ عاد زِيْدَ فيها حتّى يَعْلوُ قَلْبَهُ وهو الرَّانُ الّذي ذَكَرَهُ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [18]

وعلى العموم فان هذا اللفظ يدل على معنى التغطية والطبع والدنس، وأنه يدل على الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة ثم تطور وتوسع ليشمل كل شيء "فَكُلُّ ما عَلاَكَ وغلبك فقد رَانَ بك ورَانَ عليك"[19].

المعنى السياقي

جاء هذا اللفظ مفسراً لأمر غيبي وجاء الوصف دقيقاً ليبين أثر الذنوب في قلب الانسان حتى انها لتقوده إلى الهلاك والبعد عن العلم النافع ومعرفة الحق يقول ابن العربي المالكي "الران والرين جهل يقوم بالقلب يحول بين المرء ومعرفة الحق"[20]، وأصل هذا الفعل أن يسند إلى الشيء الذي أصابه الرين، فيقال ران السيف أي أصابه الصدأ الذي هو من أصل السيف لا خارج عنه، ولاحتواء هذا الفعل على معنى التغطية جاء منه فعل ران بمعنى غشى فقالوا ران النعاس على فلان ورانت الخمرة أي إن هذا التأثير خارج عنه[21]، وبهذا المعنى فسر ابن عباس "ران" في قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال هو من باب ران الرين على السيف،

وليس من باب ران السيف ومن استعمال القرآن هذا الفعل صار الناس يقولون رين على قلب فلان وفلان مرينٌ على قلبه[22]، فالمؤثر خارجي عنه وليس في أصل القلب وانما هي المعصية التي تسبب هذا الغطاء والغشاوة وانتبه إلى دقة الوصف وجمال العبارة وشفافية التعبير وحقيقته "نكتت في قلبه بصيغة المجهول من النكت وهو في الأصل أن تضرب الأرض بقضيب فيؤثر فيها "نكتة سوداء"[23]، أي كان هناك أثر قليل في قلبه من تلك الضربة وقد تركت شيئاً وسخاً في مرآة قلبه فهي ضربة بسيطة في القلب ولكن إن لم يتدارك الانسان هذه الضربة تعرض إلى ضربات اخرى تؤثر فيه تأثيراً عظيماً يوصله إلى الران وتختلف هذه الضربة على حسب اختلاف المعصية وقدرها فلابد من معالجة هذه الضربة بالتوبة لذا أشار في الحديث "فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه" "فالمعنى نظف وصفى مرآة قلبه لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقياً وتمثيلياً"[24].

وذكر الهروي في تفسير قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ "قال الحسن في هذه الآية هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب قال أبوعبيد وهذا من الغلبة عليه"[25]، وعليه فان العودة إلى الذنب تورث الانسان ظلاماً في قلبه فتعمى بذلك بصيرته لذلك جعل الحافظ ابن كثير "ان الرين للكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين"[26]، "وقال ابن مالك إن هذه الآية مذكورة للكفار ولكن ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تخويفاً للمؤمنين كي يحترزوا عن كثرة الذنب كيلا تسود قلوبهم كما اسودت قلوب الكافرين"[27].

السَّعِيْدُ

عن عبد الله بن مسعود، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّما هُما اثنتان: الكلام والهَدْيُ فأحْسَنُ الكلام كلامُ اللهِ وأحْسَنُ الهَدْيُ هَدْيُ مُحمدٍ، ألا وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأُمُور فإنّ شَرَّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلُّ مُحْدثةٍ بِدْعَةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ ألا لا يَطُولَنَّ عَليكم الأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلوبكم، ألا إنّ ما هُوَ آتٍ قريبٌ، وإنَّما البعيدُ ما ليس بآتٍ ألا إنَّما الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّهِ والسَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغيرِهِ"[28].

فهذا اللفظ يدور حول معنيين متقاربين هما سَعَدَ بالفتح وهو خلاف النحس وسَعِد بالكسر وهو خلاف الشقاوة ووجه التقارب هو الفرح والسرور والتفاؤل.

وقد جعل الراغب السعادة التوفيق بالله فهو يقول "السَّعْدُ والسَّعَادةُ مُعاونةُ الأُمُور الإلهيَّة للإنسان على نَيْلِ الخير وَيُضَادُّه الشَّقاوة، ويقال: سَعِدَ وأسْعَدَهُ اللهُ ورَجُلٌ سعيدٌ وقومٌ سُعَدَاءُ"[29].

المعنى السياقي

جاء هذا اللفظ في سياق الحديث عن أمر غيبي وأمر يتعلق بالقضاء والقدر أشار فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معنى الشقي ثم انتقل إلى الحديث عن معنى السعيد ولم يُشر إلى معنى السعادة منذ أصل

الخلقة بل ركز على جانب مهم وهو أن السعيد من وعُظ بغيره، أي التركيز على جانب الاتعاظ من مواقف الآخرين وما جرى عليهم من العقوبة بسبب المعاصي، فالسعادة لا تكون إلا بتوفيق من الله لذلك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم السعادة هي في الاتعاظ مما حل بالآخرين من العقوبة، إلى هذا المعنى يشير الامام السندي في تعليقه على قوله صلى الله عليه وسلم "من وعظ بغيره، فهو يقول "أي من وفقه الله تعالى للإتعاظ فرأى ما جرى على غيرة بالمعاصي من العقوبة فتركها خوفاً من الله أن يناله منها ما نال غيره"[30] فضلاً عن ورود هذا اللفظ بصيغة (فعيل) التي تدل على الثبوت والدوام فكأنه يشعر بأن السعادة الحقيقية صفة ثابتة لا تنفك عن صاحبها ما دام يتعظ بما حدث لغيره" [31].

فالسعادة لا تكون بالاتعاظ بما حل بالآخرين من العقوبة فحسب بل لا بد من أن يكون الدافع للابتعاد عن الذنوب هو الخوف من الله تعالى، ففي الحديث دلالة على معنى جديد للسعادة يتعلق بالآخرة حيث إنها تكون عندما يعتبر الانسان بما حل بمن عصى الله فيرجع إلى ربه منيباً إليه فيكون بذلك قد حقق السعادة الحقيقية.

غَيْرَةُ اللهِ

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "إنّ اللهَ يَغَارُ وغَيْرَةُ اللهِ أنْ يأْتِيَ المؤْمنُ ما حَرَّمَ اللهُ"[32].

والأصل في هذا اللفظ يدل على المشاركة في أمر مخصص لا يقبل المشاركة فيؤدي إلى تغيرٍ في المواقف بسبب هذا التدخل "فالغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين"[33].

المعنى السياقي

لما جاء هذا اللفظ مضافاً إلى اسم الله تعالى أفاد أنه صفة من صفات الله تعالى صفة تليق بجلالة العظيم، وعند الحديث عن صفات الله تعالى لا بد أن نثبت لله تعالى ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه رسوله من صفات النقص[34].

لذلك يقول صاحب معجم الفاظ العقيدة "ان الغيرة من الصفات الفعلية الثابتة في السنة الصحيحة وهي صفة تليق بجلاله[35]، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[36]. وقد ذهب العلماء في الكلام على الغيرة مذاهب فقال بعضهم إن غيرة الله ليس معناها هو الاتيان نفسه أو عدمه وإنما غيرة الله علة النهي عن الإتيان أو عدمه"[37]، وذهب بعضهم إلى تفسير غيرة الله بانها غضبه معللاً ذلك بأن الغضب لازم الغيرة فغيرة الله غضبه على الفواحش[38]، وجعل القاضي عياض احتمال أن تكون الغيرة في حق الله الاشارة إلى تغير حال فاعل ذلك"[39].

ولما كانت الغيرة تدل على الاختلاف والتغير فقد ذهب ابن العربي المالكي إلى أن التغير محال على الله تعالى بالدلالة القطعية فيجب تأويله بلازمه كالوعيد أو إيقاع العقوبة بالفاعل ونحو ذلك[40]

إذن ينبغي أن لا نفسر هذا اللفظ تفسيراً على الظاهر إذ لا بد من تأويل ما يلازمه بلازمة على نحو ما ذهب اليه العسقلاني كما مر فيما سبق.

وذهب قسم من العلماء إلى أن معنى غيرة الله هي "منعه الناس من الفواحش أي سائر المحرمات"[41]، وقد عللوا ذلك بأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه وقد بين ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ومن غيرته حرم الفواحش أي زجر عنها ومنع منها[42]، والتزم قسم آخر بما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم به غيرة الله وجعله أفضل تفسير قال الخطابي إن أحسن تفسير لغيرة الله هو قوله صلى الله عليه وسلم "وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه"[43].

الفِرْدَوْسُ

عن انس بن مالك أَنّ الرُّبَيّع بنت النَّضر أتت النّبيّ صلى الله عليه وسلم وكان ابنها حارثة بن سراقة كان أُصيب يوم بدر، وأصابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اخبرني عن حارثة لَئِنْ اصاب خيراً احتسبتُ وصبرتُ وان لم يُصِب الخير اجتهدتُ في الدعاء، فقال نبيُّ الله يا أُمَ حارثة "إنَّها جنانٌ في جنَّةٍ وإنَّ ابنك اصاب الفِرْدَوْسُ الأعلى، والفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الجَنَّة وأَوْسَطُها وأَفْضَلُها"[44].

وقد اختلف اصحاب المعاجم في أصل هذا اللفظ هل هو عربي ام غير عربي:

ذهب الأزهري إلى أن أصل هذا اللفظ هو عربي وأن العرب تسمي الموضع الذي فيه كَرْم فِرْدُوْسَاً[45].

وهذا الرأى هو ما ذهب اليه الفراء ودلل على صحته "بقوله إن العرب قد ذكرت الفردوس في أشعارها"[46]، من ذلك قول حسَّان بن ثابت: [47].

وإنَّ ثوابَ اللهِ كُلَّ مُوحَّدٍ جِنانٌ من الفِرْدَوْسِ فيها يُخَلَّدُ

ذهب الكلبي إلى أن " الفِرْدَوْسَ البستان الذي فيه الكروم بالرومية"، وقال "إن الفردوس أصله بالنبطية فرداساً"[48]، فيتضح مما سبق أن الفردوس هو البستان الذي يجمع كل ما يكون في البستان من الفواكه والاشجار ولعل أبرز ما فيه هو أشجار العنب الذي يميز هذا البستان من غيره.

المعنى السياقي

جاء لفظ الفردوس في حديثه صلى الله عليه وسلم مبيناً أن في الاخرة جناناً لا جنَّة واحدة وأن أفضل هذه الجنان هي جنة الفردوس لذلك يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجةً ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسالوه الفردوس[49]. يتضح أن الفردوس منزلة عظيمة ودرجة رفيعة لم يلجأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وصف شجرها ونباتها لأن أطلاق لفظ الفردوس يدل على أنه يجمع كل ما يكون في البساتين من الأشجار والنبات ولكن اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لأصحابه عظم الفردوس ومكانتها فهذا ابن العربي المالكي يذكر في حديثه عن الفردوس فيقول "قال الفراء البستان الذي فيه العنب بلغة العرب وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث آنفاً"[50]. وذكر ابن الانباري رواية عن سَمُرَة بن جندب أنه قال "أن الفِرْدَوْسَ ربوة خضراء في الجنة هي أعلاها وأحسنها"[51]. وقد علل السندي تفضيل الفردوس على غيرها من الجنان بقوله "ولهذا كانت الفردوس اعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها لقربها من العرش إذ هو سقفها وكلما بعد عنه كان أظلم وأضيق ولهذا كان اسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها عن كل خير"[52].

الوَسِيْلَةُ

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتُم المؤذِّنَ فقولوا مثلما يقول، ثُمَّ صَلُّوا عليَّ فإنَّه من صلَّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ثم سَلُوا لي الوَسِيْلَةَ فإنَّها منزِلَةٌ لا تَنْبَغِي إلاّ لعبدٍ من عبادِ اللهِ وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأَلَ لي الوَسِيْلَةَ حلَّتْ له الشَّفاعة"[53].

المعنى اللغوي

الوَسِيْلَةُ مشتقة من وَسَلَ الذي يدل على الطلب والرغبة من ذلك "وسَلْتُ إلى اللهِ بالعمل أَسِلُ من باب وَعَدَ رَغِبْتُ وتَقَرَّبْتُ"[54]، ووسَّل فلان إلى الله وَسِيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّبَ به اليه والواسِل الرَّاغِب إلى اللهِ[55].

المعنى السياقي

ذهب العلماء في تفسير لفظ الوَسِيْلَةُ في حديثه صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثة مذاهب منها[56]:

1. الأول:- وهو الأصل أي أن الوسيلة هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل اليه وسيلة وتوسل والمراد في الحديث القرب من الله تعالى.
2. الثاني:- قيل المراد من الوسيلة في الحديث هي الشفاعة يوم القيامة.
3. الثالث:- هي منزلة من منازل الجنة.

وقد ذكر ان سبب تسمية درجة النبي صلى الله عليه وسلم بالوسيلة "لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن"[57]، فهي "المنزلة القريبة إلى الله تعالى لذلك فهو يشير إلى أن معنى الوسيلة الوصلة والقُربة والزلفى ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً"[58].

ولقد جعلت الوسيلة في حقيقتها أمراً يتطلبها الشرع والعبادة الصحيحة والوقوف عند الثوابت الشرعية فهو يقول "وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة[59].

ويبدو أن هناك ربطاً بين المنزلة القريبة من الله تعالى وبين الشفاعة التي ينالها العبد فهذا السندي يشير إلى العلاقة بين هذين الأمرين إذ يقول الوسيلة قيل" هي المنزلة عند الملك ولعلها في الجنة عند الله تعالى أن يكون كالوزير عند الملك بحيث لا يخرج رزق ومنزلة الا على يديه وبوساطته"[60]. أي فيه اشارة إلى أثر هذه الكلمة أو الدرجة في نيل العباد الشفاعة.

الهوامش والمصادر

1 – سورة النجم /3-4.

2 – صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، 1972م، رقم الحديث:2581.

3 – سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1409هـ – 1988م ، رقم الحديث:3680.

4 – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ، رقم الحديث:50

5 – نفس المصدر.

6 – سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، دار الحديث، القاهرة. رقم الحديث:4260.

7 – سورة المطففين/14.

8 – صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، رقم الحديث: 1476.

9 – صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، رقم الحديث:1499

10 – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو منصور اسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ – 1979م، ج 6، ص 2319.

11 – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1323هـ-1903م، ج 11، ص 28.

12 – عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1421هـ – 2001م، ج 9، ص 98.

13 – المجازات النبوية، الشريف الرضي، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 128.

14 – نفس المصدر، ص 129.

15 – سورة الشورى/ 11.

16 – فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ-1989م، ج 1، ص 161.

17 – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مطبعة المدني، القاهرة، 1383هـ - 1963م،.ج 4، ص 395.

18 – سورة المطففين/14.

19 – الفائق في غريب الحديث، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، القاهرة، ج 2، ص 96

20 – عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، الحافظ ابن العربي المالكي ، دار العلم للجميع، سوريا، ج 12، ص 234.

21 – التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، ج 30، ص 199.

22 – نفس المصدر ونفس الصفحة.

23 – تحفة الاحوذي، المباركفوري، ج 9، ص 254.

24 – نفس المصدر و نفس الصفحة.

25 – غريب الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص 270.

26 – تحفة الاحوذي، المباركفوري، ج 9، ص 254.

27 – نفس المصدر، ج 9، ص 255.

28 – الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة بدون سنة الطبع، ص 2591.

29 – المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ - 1998م، ص 238.

30 – سنن المصطفى، أبو الحسن محمد بن عبدالهادي المعروف بالسندي، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 23.

31 – الالفاظ النفسية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الموصل/ ايمن توفيق الوتاري، ص 94.

32 – صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، رقم الحديث: 5223.

33 – فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج 9، ص 264.

34 – الارشاد إلى صحيح الإعتقاد، صالح بن فوزان، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 119.

35 – معجم الفاظ العقيدة، أبو عبدالله عامر عبدالله فالح، مكتبة العبيكة، الرياض، 1420هـ - 2000م، ص 311.

36 – سورة الشورى/11.

37 – شرح الكرماني، محمد بن يوسف الكرماني ، مطبعة البهية المصرية، مصر، 1356هـ - 1937م، ج 19، ص 161.

38 – نفس المصدر و نفس الصفحة.

39 – فتح الباري، العسقلاني، ج 9، ص 264 .

40 – عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، الحافظ ابن العربي المالكي، ج 5، ص 115.

41 – عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين أبو محمود بن أحمد العيني، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج 20، ص 205.

42 – نفس المصدر و نفس الصفحة.

43 – شرح الكرماني، محمد بن يوسف الكرماني، ج 19، ص 162.

44 – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، رقم الحديث:3174

45 – تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1384هـ، ج 13، ص 150

46 – كتاب المذكر والمؤنث، أبو بكر ابن الأنباري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص 370.

47 – شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980م، ص 206

48 – الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار الرشيد للطباعة، بغداد، 1399هـ – 1979م، ج1، ص 614.

49 – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، رقم الحديث: 2530.

50 – عارضة الاحوذي، الحافظ ابن العربي المالكي ،ج 10، ص 38.

51 – الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ج 1، ص 614-615.

52 – سنن المصطفى، أبو الحسن محمد بن عبدالهادي المعروف بالسندي، ج 2، ص 590.

53 – صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج، رقم الحديث: 384.

54 – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المصري الفيومي عيسى البابي الحلبي، مصر، 1347هـ- 1929م، ج 2، ص 66.

55 – لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1417هـ – 1997م، ج 11، ص 724.

56 – النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1383هـ – 1963م،. ج 1، ص 288-289 .

57 – معجم الفاظ العقيدة، أبو عبدالله عامر عبدالله فالح، ص 462 .

58 – نفس المصدر، ص 463

59 – المفردات في غريب القرآن، راغب أصفهاني، ص 560-561.

60 – نفس المصدر و نفس الصفحة.